

رسالة العنبري إلى الخليفة المهدي

(عرض ودراسة)

الأستاذ محمد فرقاني

جامعة الأمير عبد القادر

١ – مقدمة:

كان لنجاح الدعوة العباسية في قلب نظام حكم بني أمية للمسلمين انقلابا جذريا ترتبت عنه آثاراً بعيدة المدى في شتى المجالات ليس هنا محل ذكرها.

فقد حاول الخليفة المنصور المؤسس الحقيقي للدولة – ١٣٦- ٥٨ هـ -تصحيح الأوضاع التي ورثها عن الدولة الأموية بتحسين أحوال الرعية والسير فيها بالحق والعدل، إيفاء منه للوعود التي قطعها أسلافه للجماهير لاستقطابها حولهم وحشدها لنصرتهم .

وبالفعل قطع المنصور شوطا كبيرا في تحقيق ذلك، فقد ذكر عنه أن شغله كان: "في صدر نهاره، بالأمر بالمعروف، والنهي، والولايات، والعزل، وشحن الثغور والأطراف، وأمن السبل، والنظر في الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعية، والتلطف بسكونهم وهدوئهم ... فإذا صلى العشاء الآخرة جلس ينظر فيما ورد من كتب الثغور والأطراف، والآفاق، وشاور سماره[1].

---

1 – ابن الأثير / الكامل في التاريخ / ٥ /٤٧ .
– ابن كثير / البداية والنهاية / ١٠ / ١٢٥

اتسم حكمه بسعيه الدائم لتوطيد الأمن لما كان يرى من أثر ذلك إيجابا أو سلبا علـى الحركة الاقتصادية، مهتما بتنمية موارد الدولة مقتصدا في النفقات بعيدا عن الترف الـذي أرهق كاهل الدولة في عهد ابنه المهدي.

ورغم الجهد الذي بذله في إصلاح الحال، فقد بقيت بعض النقائص، واستمرت بعـض التجاوزات منه ومن أعوانه شأن كل دولة عند بداية قيامها، بعضها عن قصـد، والبعـض الآخر عن غير قصد، بعضها لها مبرراتها، وأخرى لا مبرر لها، خاصة من أعوانه الذين كـانوا يستعلون على الناس مستغلين سلطاتهم للفوز بالغنائم، خاصة أولئك المنفذيـن في الجـهاز الإداري الذين لم يعملوا بشكل جدي ومتسارع على مسايرة المستجدات الـتي تسـتجد بالمسارعة إلى تطويقها بإيجاد الحلول لها.

لم يترك الخليفة أبو جعفر المنصور وسيلة إلا واعتمدها لتحسين الأوضاع، مـن ذلـك حرصه الشديد على الشورى والاستماع لنصح الناصحين إذا ما رأى فيـهم الصـدق في القول، والرغبة الخالصة إلى تنبيهه إلى مواطن الضعف والتقصير في سياسته وسياسة أعوانـه، من ذلك ما نصحه به الإمام الأوزاعي[1] الذي استقدمه لهذا الغرض، فحثه علـى السـير في المسلمين بالحق والعدل وتيسير سبل اتصالهم به والاستماع لمظالمهم والرحمـة لضعفائـهم والقيام بحق الله في المسلمين.

وكذلك مقام ذلك الرجل عنده عند حجه، فوعظه بموعظة بليغة خالصة حلل له فيـها كيف ظهر البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله، مركزا على أهمية اختيـار الأعوان مبينا له طريقة معالجة ذلك "افتح بابك وسهِّل حجابَك، وانصر المظلـوم، واقمـع الظالم، وخذ الفيء والصدقات مما حلَّ وطاب واقسمه بالحق والعدل على أهلـه "[2]، حاثًّـا

1- ابن قتيبـة / عيون الأخبار / ٢ / ٣٣٨ / ٣٤١
- ابن منظـور / مختصر تاريخ دمشق / ١٤/ ٣٣٤- ٣٣٨ .
2 - الزبير بن بكار / الأخبار الموفقات / ٣٩٢ - ٣٩٨ .

إياه على مشاورة العلماء" يا أمير المؤمنين: إن للناس أعلامًا يفزعون إليهم فاجعلهم بطـانتك يرشدوك، وشاورهم في أمورك يسددوك"[1]. وكذلك كان الأمر من الإمام مالك بن أنـــس وابن أبي ذؤيب وابن سمعان والتي تـــندرج نصائحهم ضمن ما يعرف اليوم ببرامج عمــــل وخطة إعمار وتنمية، ومنهج إصلاح .

ولكن يأتي في طليعتهم عبد الله بن المقفع ــت: ١٤٢، ١٤٣ هــ - الذي كتب إلى الخليفة المنصور "رسالة الصحابة"[2] حيث تعد من أروع ما كتب من رسائل في هذا الشأن في تلــك الفترة، ذاكرا له فيها المساوئ والتجاوزات والنقائص التي هي عليها الأوضاع في الأقـــاليم واضعا الحلول له بطريقة عقلانية شاملة، وبشكل متكامل ومتوازن، من الخليفة إلى حاشـيته إلى بقية الأعوان في النواحي والأقاليم ومختلف النشاطات والميادين الاقتصادية والاجتماعيـــة والسياسية والإدارية والعسكرية والأمنية والقضائية. ولا تحدثنا المصادر إن كان الخليفة قــد أخذ بالذي جاء في الرسالة، ولكن إذا ما تأملنا سياسته تبين لنا أنه عمل بالكثـــير الـــذي نصحه به ابن المقفع بالخصوص في النواحي المالية والقضائية وتتبعه لنشاط معاونيه بواســـطة ولاة البريد الذين يوافونه بتقارير يومية عنهم وعما يحدث في الأقاليم [3].

ويظهر أن رغبة المنصور في الإصلاح واستمرار توسيعه وترسيخه كواقع معيش دفعتــــه لأن يوصي ابنه المهدي ولي عهده بوصية[4] جامعة ضمَّنها خلاصة تجاربه في الحكـــم والإدارة لا تخرج عما كان قد كتب به إليه ابن المقفع، وكذا ما جاء في رسالة عبيد الله بن الحســـن التي نحن بصدد عرضها لا حقـــا .

1 - ابن قتيبـــة / الإمامـــة والسياســـة / ٢ / ١٤٤ — ١٤٥ .
2 - أحمد زكي صفــوت / جمهرة رسائل العرب / ٣ / ٣٠ وما بعدها .
3 - الريس / الخراج والنظم الماليـــة / ٣٩١ .
4 - البلاذري / أنساب الأشراف / ٤ / ٣٦٣ — ٣٦٥ .
- تاريخ اليعقوبي / ٢ / ٣٩٢ — ٣٩٤ .

٢- لمحة عامة عن حياة كاتب الرسالة :

كاتبها هو: عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن أبي الحر العنبري، ولد بالبصرة سـنة ١٠٠ وقيل ١٠٦ هــ، وبها تلقى العلم وأصبح من سادتها، له قدر وشرف وفقه كبير مأثور عنــه محمود السيرة عاقلا فصيحا بليغا، ولما كان كذلك اختاره الخليفة أبوجعفر المنصور قاضيا في البصرة في المحرم سنة ١٥٧هــ مع إمامة الناس في الصلوات بعد وفاة قاضيها سوار بن عبــد الله، فكان محمودا فيما يقضي به، صلبا في الحق آخذا بما أوصاه به الخليفة وبما منحــه مــن صلاحيات واسعة في هذا الشأن " ... فلا يعدلَــنَّ الحق عندك شيء "[١].

وبالفعل كان عند حسن ظن الخليفة وموضع ثقته حيث بقي يشغل هذا المنصب عشــر سنوات حتى عزله الخليفة المهدي سنة ١٦٧ هــ [٢] وولى مكانه خالد بن طليق الحارثي.

وتعود أسباب عزله إلى ذلك الخصام الذي شب حول قطعة أرض لمحمد بــن ســليمان خالف فيها ما كان قد كتب به إليه الخليفة بالنظر في أمرها، وكذا تسميته الصــوافي الــتي استصفاها الخليفة المنصور "مظالم" إضافة إلى عداوات شخصية بينه وبين بعض الأفراد الذين كادوا له لدى الخليفة حتى عزله .

والحقيقة أن ذلك هو موقفه في آخر سني خلافته ممن يخلصون له في أعمــالهم ويثبتــون جدارتهم ومقدرتهم في خدمة المجتمع، والذب عن مصالحه الحيوية. حيث أن نقطة الضعــف فيه أنه كان يأخذ برأي حسادهم ومبغضيهم فيهم فيصرفهم عن أعمالهم ليخلوا لهم الجــو، كالذي كان منه مع وزيره الآتي ذكره لاحقا، والذي عزله في السنة نفسها التي عزل فيــها هذا القاضي.

لم يعمر عبيد الله بعد عزله إلا سنة واحدة، حيث توفي -رحمه الله- سنة ١٦٨هــ[٣].

---

١ - وكيــع / أخبار القضاة / ٢ / ٩١ .
٢ - المصدر نفسه / ٢ / ٩٢، ٩٣، ٩٥ .
٣ - المصدر نفسه / ٢ / ٨٨ وما بعدها .
- الذهبي / تاريخ الإسلام / ١٠ / ٣٤٤ رقم ٢٦٣ . =

نظرة عامة على الرسالة ودراستنا لنصها:

جاءت هذه المراسلة في كتاب "أخبار القضاة" لمؤلفه: محمد بن خلف، الملقب بوكيــــع المتوفي سنة ٣٠٦ هــ والذي يتألف من ثلاثة أجزاء متوسطة الحجم أرخ فيه لقضاة الأمصــار الشهيرة مع ذكر الكثير من الأحكام التي حكموا بها في النوازل والقضايــا الــتي عرضــت عليهم.

أما الرسالة فقد تقصينا البحث عنها في مصادر أخرى، فلم نعثر عليها إلا ما جاء في هذا المصدر، ومن ثم فهي رسالة نادرة، مما يعطيها أهمية بالغة، إضافة إلى توفر شروط توثيقــها، فمرسِلها والمرسَل إليه معروفان، وكاتبها معروف وهو: الحكم كاتب عبيد الله الذي أملاهـا عليه في التاريخ المذكور في نهاية الرسالة، والذي كان كاتبا لسوار القاضي السابق1.

ومن ثم فالرسالة كتبت بعد أقل من شهرين من استخلاف المهدي، وسلسلة السند زادتها توثيقا وأهمية أكبر حيث جاءت من طريق ابن الكاتب: أحمد بن عبيد الله بن الحسن الــذي كان يتولى بحر البصرة على عهد الخليفة المعتصم والذي عزل عنه سنة ٢٢٥ هــ[2]، وكذا قول وكيع عنها في أول السند: "أخبرني غير واحد" يدل على أن الرسالة كانت متداولة علــى نطاق واسع في ذلك العهد، لما تضمنته من مشروع إصلاحي متعدد الجوانب بقيت الجماهير تأمل أن يتحقق ما جاء فيها.

أما الأفكار التي يدور عليها مضمونها فهي عديدة ومتداخلة وبعضها مكــرر إلا أنهــا تتلخص في الآتــي:

حثه للخليفة على العمل بالإسلام والاستهداء في ذلك بما عمل به أئمة السلــف .

= - المزي / تهذيب الكمال / ١٩ / ٢٣ وما بعدها . رقم: ٣٦٢٧

1 - وكيع / المصدر السابق / ٢ / ١١٥ — ١١٦ .

2 - تاريخ خليفة بن خياط / ٣٩٣ ..

الاعتناء بأربـــع خصـــال:

- حماية حدود الدولة بالاهتمام بالثغور وحماها.
- التقيد بمصادر الأحكام وحسن اختيار القضاة.
- الاهتمام بمورد الفيء.
- صرف الفيء على سننه العادلة.

* خلاصة النجاح في ذلك يقوم على مشاورة أهل العلم، وتتبع نشاط الـــولاة بـــالنظر في أعمالهم.

* اقتراحه عليه تأسيس مجلس للشورى في بغداد يختار له الرجال الناهين من أهل الأمصـــار فيتولون النظر في مصالح المسلمين.

تلك هي مجمل الأفكار الرئيسة في هذه الرسالة، ولكننا وضعنا أشباه عناوين حددنا بهـــا فكرة كل فقرة وإلا فإن الرسالة خالية منها.

أما عملنا في الرسالة، فقد صادفتنا في تقويم النص وتصحيحه رغم أنه منشور جملة مـــن العراقيل منها:

- عدم وجود رواية أخرى لهذه الرسالة أدى بنا إلى عدم فهم معاني ومقـــاصد بعـــض الكلمات وبالتالي صعوبة تقويمها.
- أن المحقق للكتاب: عبد العزيز مصطفى المراغي لم يقم النص على وجهـــه الصحيـــح لاعتماده على نسخة مخطوطة وحيدة للكتاب بين عذره في ذلك في مقدمة الكتاب .
- أنه لم يشرح الكلمات شرحا لغويا ولا اصطلاحيا، ولم يخرج الأحاديث التي جـــاءت في متن الرسالة تخريجا سليما صحيحا متقنا، ورغم العذر الذي اعتذر به، فإن ذلك لا يعفيـــه من تحمله بعض الأخطاء كعدم إشارته إلى الكلمات المحرفة أو المصحفة، وما كان ذلك عليه بصعب لو أراد أن يفعل.

ولكننا مع ذلك حاولنا تقويم النص بشرح كلماته الصعبة شرحا لغويـــا واصطلاحيـــا، وأشرنا إلى الكلمات المحرفة أو المصحفة بالتنبيه عليها وإثبات صحتها وصوابها إذا كان ذلـك يسيرا، كما قمنا بتخريج الأحاديث والآثار المستشهد بها في متن النــص، وكـــذا الآيـــات القرآنية بذكر أرقامها في سورها التي وردت فيها، واستعنا في ذلك بجملة من المصادر تجـــد قائمتها في آخر هذا البحث.

٤ – إلى أي حد عمل الخليفة المهدي بالذي تُصِح به ؟:

هو –ولا شك– سؤال ملح، وإن تأكيد ذلك أو نفيه يبقى محل نظر ونؤجل البث فيـــه إلى ما بعد استعراض وجيز لما أنجزه هذا الخليفة ونتائج تلك السياسة التي ساس بها المسـلمين سلبا كانت أو إيجابا، عند ذلك يتبين لنا إن كان قد أخذ بالذي كتب به إليه عبيـد الله أم لم يأخذ.

فالخليفة المهدي – ١٥٨ – ١٦٩ هـــ – هو محمد بن عبد الله المنصور، ولد سنة ١٢٧ هـــ عمل والده على تأهيله لأن يكون خليفة من بعده بجعله وليا للعهد، بويع له بالخلافة في شهر ذي الحجة سنة ١٥٨ هــ.

خالف سياسة والده في الإنفاق ومع المعارضين للدولة، آخذا في بعض ذلك خاصـــة في الشطر الأول من الوصية التي كان قد أوصاه بها عند خروجه للحج سنة ١٥٨هــ حيث قـال له: "الناس ثلاثة أصناف: فقير لا يرجو إلا غناك، وخائف لا يرجو إلا أمنك، ومسـجون لا يرجو إلا الفرج منك، فإذا وليتهم فأذقهم طعم الرفاهية، لا تمدد لهم كل المد"[1].

وفي تقديرنا أن المنصور أدرك أن مدة خلافته قد طالت، وأحس بملل الرعية وكراهيتـــها لسياسته المتشددة التي لو طال السير عليها في المسلمين أكثر ممـــا ينبغـــي لأدت إلى نتـــائج عكسية بعد أن أدت الغرض المنشود منها، فأوصاه بالذي تقدم.

1 – تاريخ اليعقوبي / ٢ / ٣٩٥ .

هذا وقد قيم المؤرخ المسعودي سياسته ومدى التفاف المجتمع حوله، قال:

"وكان المهدي محببا إلى الخاص والعام، لأنه افتتح أمره بالنظر في المظالم، والكف عـــن القتل، وأمن الخائف، وإنصاف المظلوم، وبسط يده في الإعطاء فأذهب جميــع مــا خلفــه المنصور"[1]. وبالفعل تحقق على يده بعض ما كان والده قد أوصاه به وبعض مـــا جــاء في نصيحة عبيد الله ولكن في السنوات الأولى لخلافته فقط، حيث أطلق سراح المساجين خاصة العلويين وأعاد إليهم حقوقهم المادية والمعنوية، ورد المظالم على من أخذت منـــهم، ورفـــع الحصار عن أهل الحجاز الذي كان والده قد فرضه عليهم لتأييدهم لثورة محمـــد النفـــس الزكية سنة ١٤٥هـــ، ووزع عليهم أموالا وفيرة عند حجه سنة ١٦٠هـــ وكذلك فعل مـــع أهل الشام[2]، وحقق بعمله هذا بعض ما كان قد نصح به ابن المقفع والده في الرسالة الـــتي أشرنا إليها من قبل واهتم أيضا بالتجارة وطرقها والبناء والتعمير، وأنشأ خطا بريديا يربـــط اليمن ببغداد عن طريق الحجاز، وأجرى الأموال على المساجين والفقراء والمرضى ومنعوا من سؤال الناس[3].

وأصلح نظام جباية الخراج، فجعل أخذه على نظام المقاسمة بالنصف والثلث والربع مـــن منتوج الأرض بعد أن كان على نظام المساحة تؤخذ من ذلك ضريبة معينة علـــى مســـاحة معينة وجاء كعلاج لأزمة انخفاض أسعار الغلات التي أصبحت لا تفـــي بدفـــع الخـــراج، فتحسنت الأحوال بعد أن منع تعذيب أهل الخراج لحملهم على دفع ما ترتب في ذمتهم مـــن خراج[4].

---

1 - مروج الذهب / ٣ / ٣١٢ .
2 - تاريخ اليعقوبي / ٢ / ٣٩٤ .
- ابن الأثير / الكامل / ٥ / ٢ وما بعدها، ٥٧، ٦٣ .
- العبادي / في التاريخ العباسي والأندلسي/ ٦٧ – ٦٨ .
3 - ابن الأثير / الكامل / ٥٧، ٦٢ .
- تاريخ اليعقوبي / ٢ / ٣٩٥ – ٣٣٦ .
4 - الجهشاري / الوزراء والكتاب / ١٤٢ .
- الريس / الخراج / ٤٠٢ وما بعدها .

إلا أنه ولكثرة نفقاته، أو على حد تعبير المسعودي الآنف الذكر:

"وبسط يده في الإعطاء فأذهب جميع ما خلفه المنصور" خلت يده من الأموال، حيث أنه لم يفكر في عاقبة سياسة التبذير التي اتبعها، مما أدى به إلى فرض ضريبـــة جديـــدة علـــى الحوانيت سنة ١٦٧هـــ عرفت بـــ "ضريبة الأسواق" والتي عدت أول ضريبـــة في الإســـلام توضع على ما ذكر، وضاعف واليه على مصر، موسى بن مصعب، في السنة السابقة الذكـــر الخراج على الفدان "وارتشى في الأحكام، وجعل خراجا على أهـــــل الأســـواق، وعلـــى الدواب، فكرهه الجند ونابذوه"[1]. واضطربت الأمور، واتسع الخرق عليه بعد أن صرف كل ما ترك له والده من ثروة طائلة قدرت بـــ ٨١٠ مليون درهم[2]، إضافة إلى ما جبي في عهده .

ويعود هذا – في تقديرنا – إلى البطانة أو "الصحابة" على حد تعبير ابن المقفـــع الـــذي حذر وغيره ممن أشرنا إليهم من قبل منهم، فشجعته على هذه السياسة البـــائرة، وحرضتـــه على عزل وزيره القدير: أبو عبيد الله معاوية بن يسار الذي يعود إليه الفضل في كل مـــا تم من إصلاح، والذي أشادت المصادر بكفاءته وحذقه الذي: "رتب الدواوين، وقرر القواعـد، وكان كاتب الدنيا وأوحد الناس حذقا وعلما وخبرة "[3]، والذي قيل عنه أيضا أنه كـــــان: "يضبط أمور المهدي ويشير عليه بالاقتصاد وحفظ الأموال"[4]. وتولى بعده الوزارة يعقوب بن داود سنة ١٦٣ هـــ الذي شجع الخليفة المهدي على الإسراف في النفقات دون مبرر يدعـــــو إلى ذلك[5].

---

1 – المقريزي / الخطط / ١ / ١٠٣، ١٠٨

– الريس / الخراج /٤١٥ – ٤١٦ ..

2 – المسعودي / مروج الذهب / ٣ / ٣٠٨ .

– الريس / الخراج / ٤٠١ .

3 – الريس / ٤٠٩.

4 – الريس / ٤١٠ .

– الجهشاري / الوزراء والكتاب / ١٥٨ .

5 – الجهشاري / ١٥٧ . والملاحظ أن أبا عبيد الله عزل عن الوزارة في السنة المذكورة، إلا أنه بقي علـــى ديوان الرسائل حتى سنة ١٦٧هـــ فصرف عنه بالكلية بعد أن قذف بتهمة الزندقة .

وبذلك يمكننا القول أن المهدي لم يأخذ بالذي أوصاه به والده بالخصوص الجانب المـالي لما كان يرى أنه: "لا تدوم نعمة السلطان وطاعته إلا بالمال"[1]. ومن قل ماله قـل أنصـاره وتغلب عليه عدوه فأزال ملكه.

وكذا لم يأخذ بالذي جاء في رسالة عبيد الله بن الحسن الآتي ذكرها إلا ما وافق هـواه. ولعل هذا جاء من ناحية ثقته في أعوانه الذين أشرنا إلى بعضهم من قبل، إضافة إلى أنـه لم يكن يملك رؤيا واضحة مستقبلية وسطية في السياسة المالية بالخصوص لاعتماده على مـن سبق ذكرهم، فلما عزل وزيره القدير أبو عبيد الله الآنف الذكر حدث الفراغ الذي استغله الانتهازيون في دفع الخليفة إلى الإسراف في النفقات، مع أن الخليفة المهدي تتلمذ على يـد والده الذي اشتهر بالاقتصاد في الإنفاق حتى عدت هذه السياسة منه بخلا وتقتيرا .

والذي يزيد من قناعتنا في عدم أخذ الخليفة بالذي نصح به هو ما أشار إليه أبو يوسـف القاضي في كتابه "الخراج" من تجاوزات ومظالم ومساوئ خاصـة الجوانـب الاجتماعيـة والاقتصادية، والذي طلب منه الخليفة هارون الرشيد ذلك الذي تولى الخلافة سنة ١٧٠ هـ أي بعد سنة من وفاة المهدي، والذي كانت له رغبة حقيقية في إصلاح الأحـوال، بحيـث ولأول مرة نسمع ونقرأ أن خليفة من خلفاء بني العباس طلب من عالم بل قاضي قضائـه أن يضع له كتابا يهتدي به في علاج المشاكل التي تعاني منها الدولة وفق الأسئلة التي طرحـها عليه ولبى القاضي رغبته.

نص الرسـالة:

– **سند الرسـالـة:** يقول محمد بن خلف المعروف بوكيع: أخبرني غير واحـد، منهم: أبو عبد الله بن الحسن بن أحمد، أن أحمد بن عبيد الله بن الحسن العنبري دفـع

1 – الريس / ٣٩١ .
– تاريخ اليعقوبي / ٢ / ٣٨٧ .

إليهم كتابا، ذكر أن أباه عبيد الله بن الحسن كتب به إلى المهدي، وقرأه أحمد بن عبيد الله عليهم بسر من رأى[1].

استهلال وتذكير ونصح لأمير المؤمنين :

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، أصلح الله أمير المؤمنين، ومد له في اليسر والعافية – إني رأيت – وإن كنت أعلم – أن الله قد أعطى أمير المؤمنين وصالح وزرائه من العلم بكتاب الله، وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– وما سلف من الأئمة، ما قد استحق به الشكر له عليه، والعمل له به، وكنت أعلم أني بكثير من الأمور غير عالم، ولا كفران لله، بل لله علي المن والفضل العظيم، وله مني الشكر والحمد الكبير على كبير نعمه علي أني أذكره الذي علمه الله من ذلك، وأنهي إليه النصيحة فيما علمت بأدبه مني إليه – إن شاء الله – بحق الله علي في ذلك، وحق أمير المؤمنين، ونصيحته مني له وللرعية، رجاء أن ينسى[2] الله بذلك حسبا، ويمحو عني بذلك سببا، وإياه أسأل ذلك، ولأرغب إليه فيه في توفيقه أمير المؤمنين وإياي لما يحب ويرضى .

– **ليأخذ المسلمون بما أنزل الله إليهم بقوة ويجتمعوا غليه:** وإن نسبة هذا الأمر الذي جعله الله سبيلا لإيمان المؤمنين وإسلامهم، واجتماع جماعتهم، وائتلاف ألفتهم، وأمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليستتموا نعمة ربهم عليهم، وليبلغوا تمام المدة التي "**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا**

1 – سر من رأى: وتدعى سامراء مدينة بين بغداد وتكريت، بناها المعتصم للجند الأتراك سنة ٢٢١ هـ . ياقوت / معجم البلدان / مادة / سامراء.

2 – "ينسى" كذا جاءت، ولعلها "ينشئ الله بذلك حسبا، أو حسنا" أو "ينسئ" أي التأخير والتأجيل وإمداد العمر، والأول أثبت، حيث أن ما تلاها يبين أن الكلام يتعلق بكسب الحسنات وحصول الشرف والمجد ومحو الذنوب .

يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون"[1]. جــــرت –بــإذن الله– بــأعذاره بآياته إلى خلقه واستخلافه منهم أنبياءه ورسله المرسلين والخلفـــاء الراشـــدين، والأئمة والفقهاء الصديقين، منا من الله على عباده، وإحسانا إليهم، وعائدة منهم، وعطفـــا عليهم، وإبلاغا منه بالحجة إليهم، ليعبدوا الله لا يشركوا به شيئا، ويشكروه ولا يكفـــروه، وليستقيموا إليه، وليستغفروه، وليأخذوا ما آتاهم من ذلك بقوة ويجتمعوا عليه، ولا يتفرقوا فيه .

– جرب يا أمير المؤمنين الاهتداء بسنة الأئمة والعلماء الهداة:

فجرب – أصلح الله أمير المؤمنين – سنة ولى[2] ذلك الأمر، ذلك بأنهم قاموا بنور الكتاب الذي أنزل الله، وأمالهم[3] على ألسنتهم وأيديهم ولمن يتبعهم عليه. فنعم التابع ونعم المتبـــوع! وهنيئا لهم أجرهم وجزاءهم بما كانوا يعملون !وأنهم هم الهداة المهتدون والأئمة العـــائدون، الأشراف الأكرمون، والمتواضعون المرتفعون، والعلماء الخلفاء المعتصم بهـــم والمعصومـــون، وأنهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وكـــرم أولئك أئمة وإخوانا ورفقاء.

– عزة الدين بالأئمة والعلماء وبهم يقوم عموده:

فإنهم هم أعز الله هذا الدين وأظهره، وبهم أقام عموده، وأنهج سبيله، وبهم يقذف للنـــاس أحكامه حتى أخذ لضعيفهم من قويهم، ولصغيرهم من كبيرهم، ولبرهم من فاجرهم، وحتى استقامت سبلهم وحي فيهم ودرت حلوبتهم، وسكنت البلاد، واستقرت العباد، وبهم ثبـــت الله ثغورهم[4]، ونفى عنهم عدوهم، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم يطؤوهـــا وكان الله على كل شيء قديرا.

---

1 – سورة النور / الآية ٥٥ .
2 – جاء الحرف الأول من الكلمة مطموسا إلا جزءا يسيرا منه، ولعلها " أولي " .
3 – كذا جاءت وأمالهم، ولعلها " وأماله " لعودة الضمير على كتاب الله، أي ثبته علـــى ألســـنتهم و لم يشكوا و لم يترددوا . لسان العرب، مادة: ميل .
4 – الثغور: مفرده: ثغرة، وهي كل فرجة في جبل أو بطن واد، أو طريق مسلوك، وتعني في النص ما يلـي دار الحرب الذي يسهل على العدو غزو البلاد منه . لسان العرب، مادة / ثغر .

- **حق الأئمة على العباد إذا أحسنـــوا:** فعظم بذلك على العباد حقـــهم، وألزمـــهم بذلك محبتهم والنصيحة لهم، والحفيظة من ورائهم، ووجب لذلـــك عليـــهم موازينـــهم[1]، والسمع والطاعة لهم.

- **صفات السلف الصالح من الأئمة: العدل في الحكم والإنابة إلى الله:** وما برحـــوا بذلك مقسطين في حكمهم منيبين إلى ربهم، مقتصدين في سيرهم، توابين من خطايـــاهم، أوابين إلى خالقهم، مستكينين له، متضرعين إليه في فك رقابهم وفي عصمتهم، والمغفرة لهـم، حتى رضي عنهم، وأحسن الثناء عليهم **"أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هـــم فيهـــا خالدون"**[2]. قال: **"أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما"**[3]، في آي من القرآن كثير، حتى قال: **"هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب"**[4].

- **إخلاص السلف في الأعمال وزهدهم في الدنيا وشـــوقهم برضـــوان الله:** للفـــوز ولعمري! ما فعل القوم ما فعلوا من ذلك عبثا، ولا بطرا، ولا لعبا، ولا لغوا، ولكنهم نظروا فأبصروا، وأبصروا فأنصفوا، وأنصتوا وهربوا، وأدركوا واداركوا، فنجوا بعدما شف[5] الهرب والطلب أجسامهم، وغير ألوانهم، وأسهر ليلهم، وأحمض نهارهم[6]، وكف ألسنتهم وأسماعهم وأبصارهم وجوارحهم عن مظالم الناس، وسائر معاصي الله، وحتى قتل الهم والطلب كثـــيرا

---

1 - " موازينهم " والوزن والميزان: العدل، ووازنه: عادله وقابله . والمعنى: مقابلة الأحداث ومواجهتـــها بعدل . لسان العرب: مادة / وزن . وقد تعني – وهو الأرجح في نظرنا – " مؤازرتهم " .
2 - سورة المؤمنون / الآية: ١٠ – ١١ .
3 - سورة الفرقان: الآية / ٧٥ -٧٦ .
4 - سورة ص / الآية: ٤٨ .
5 - "شف"، والشف: الحزن، وشفه الهم: أهزله وأضمره حتى رق . والمعنى: نحلت أجسامهم خوفا مـــن عقاب الله . لسان العرب: مادة / شفف .
6 - " أحمض نهارهم " هو التحول من شيء إلى شيء. وتعني: الإقلال من الشيء . لسان العرب: مـــادة/ حمض .

منهم على البيع الذي بايعهم الله به[1]، واشتروا به أنفسهم منهم[2]، فأحياهم بقتلـــه إيـــاهم، فربحوا كثيرا، وأنالوا جسيما، وفازوا فوزا عظيما، وانقلب باقيهم **"بنعمة من الله وفضـــل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم"**[3].

– آثار حكم الأئمة الصالحين: قرت العيون، وسكنت النفوس، واطمأنت القلـــوب: قرت العيون في ولايتهم وقوماقم[4] وعيشهم علينا، وسكنت النفوس فاطمأنت له القلـــوب، وعز لذلك عند فراقهم فقدهم[5]، وحسب البلاد ومن بعدهم .

–طوبى لمن تبعهم بمثل عملهم، وكان لهم تابعا ووليا: فطـــوبى لتلـــك الأرواح الطيبـــة أرواحا! وطوبى لتلك الأجساد الطاهرة أجسادا! وطوبى لمن تبعهم بمثل عملهم وكان لهـــم تابعا ووليا! وطوبى لهم! ما أحرص المسارعين إلى الخيرات على أتباعهم، وأقل التابعين لهـــم بمثل هديهم وسيرهم، وأعز بهم فيمن هو بين ظهرانيه من الناس، وأولئك كانت النوائـــب فيهم نوائب الدهر هي النوائب حق النوائب، فأولئك عليهم من ربهم الصلوات والرحمـــة، وأولئك هم المهتدون، فبهداهم وسيرهم فليقتد المقتدون، وبهديهم فليهتد المهتدون .

– أمل الناس في أمير المؤمنين: أن يكون إماما عادلا وحكما مقسطا: وإن قيام أمـــير المؤمنين بهذه الخلافة وافق من الناس جهدا جاهدا وعظما كسيرا (وصحا قمتكـــا)[6]، ورأوا رجاء منهم[7] عظيما، وأملا له وتأميلا منهم فيه سديدا؛ أن يكون لهم إماما عدلا وحكمـــا مقسطا يهدي فيهم بمثل هدي أولئك، ويسير فيهم بمثل سيرهم، فيؤتى بمثل أجورهم أجـــل

---

1 – البيع المشار إليه، إشارة إلى قوله تعالى: " ..فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ...". ســورة التوبـــة: الآية / ١١٢ .
2 – "منهم" كذا جاءت، فإن لم يكن خطأ مطبعي فصوابها "منه" أي منه عز وجل.
3 – سورة آل عمران / الآية: ١٧٤، وبدايتها: "فانقلبوا ..." .
4 – "وقوماقم" كذا جاءت، ولعلها "قوامتهم" أي في حكمهم وسياستهم للأمور .
5 – "وحسب البلاد ومن بعدهم" وهي مضطربة .
6 – وصحا وقمتكا "لاحظ المحقق عليها في الهامش "كذا بالأصل" .
7 – "منهم" كذا جاءت، ولعلها "منه" أي من الخليفة حتى تستقيم مع المعنى العام .

الفوز العظيم إلى الدرجات العلى في جنات النغيم، وعاجلا من التمكين والنصر والفـــلاح، والعافية والسلامة والمحبة من رعيته، والنصيحة منهم، بعطفه عليهم، ورأفته بهم ورحمته لهـــم، وإنصافه إياهم، وإشباعه[1] عليهم، حتى يجبر الله منهم العظم الكسير ويسد بـــــه حاجتـــهم وخلتهم وقد – بحمد الله – رأوا من ذلك تباشيره ما قرت به العيون، وثلجت به الصـــدور، ورجوا به تمام ذلك، وتمام نعمه عليهم .

– **منزلتك يا أمير المؤمنين في المسلمين كمنزلة الوالد:** ولعمري يا أمير المؤمنين؛ فـالأمر في هؤلاء الناس لمن وليهم، العائد عليهم لنفعه[2]، السعيد هديه الذي لا مصرف له عنه إلى ما هو خير له منه في دينه ودنياه، بل الذي لم يول أمورهم إلا بالعدل فيهم، وإقامة الحق بينـــهم عليهم ولهم، وما منزلته التي استخلفه الله لها فيهم إلا كمنزلة الوالد الرؤوف الرحيم لولـــده، والحرص على رشدهم وريبهم، العزيز عليه عيبهم وفسادهم، العفو عن سببهم [3]، الســـــاتر لعرورتهم[4]، الآخذ بما لا يجمل تركه، وما منزلته فيهم التي قوى بها على أمورهم – إن شـــاء الله – إلا كمنزلة من لا يقر به إليه، ولا غنى به عنه.

– **ليوم يا أمير المؤمنين من إمام عادل خير من عبادة ستين سنة:** وقد آتـــى الله أمـــير المؤمنين من سلطان النعمة لدينه، والمعونة له، والحجة عليه، خصالا عظمت لها المنـــة عليـــه وعلى رعيته فيه، من السمع والطاعة والسكون والاستقامة، وصلاح ذات البين، وما يوســـع الله به على يديه – إن شاء الله – على الجماعات والبيضة مع موضعه الذي وضعه الله مـــن رسوله – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء ن وأن ليس بالذي قصر به تقارب سر، فلم يبـــق

1 – " إشباعه عليهم " كذا وردت، ولعلها "اتباعه إياهم".
2 – " لنفعه " كذا جاءت، ولعلها "نفعه "
3 – السبب " ويعني الشتم، وتعني في النص: الذنوب والسيئات والعيوب . لسان العرب: مادة / سبب.
4 – " لعرورتهم " مفردها: عرر، وتعني حاجتهم وخلتهم وما ينوبهم . لسام العرب: مادة / عرر .

إلا الشكر، وان يأمر فيطاع، وقد علم أمير المؤمنين انه قد كان يقال " ليــوم من إمام عدل خير من عبادة ستين سنة "[1]، ففي مثل ذلك يا أمير المؤمنين فليتنافس المتنافسون من الولاة .

– على أمير المؤمنين أن يعتني بخصال أربــع: وقد علم أمير المؤمنين أن حمل عليــه في هذه الرعية خصال أربع: الثغور، والأحكام، والفيء، والصدقة. وأن مما تصح بهذه الخصــال الأربع – بإذن الله – خصلتان:[2].

١ – أول الخصال: الاهتمام بالثغور – الحدود – وحماها: فأما الثغور، فقد علــم أمير المؤمنين أن قوامها – بإذن الله – أهل النجدة والشجاعة من أهل الحنكة والتجربة، وأن ممــا يصلح أولئك ما استعين بهم، أن يسبغ عليهم وعلى جندهم من العطــاء والأرزاق، وأن لا يوكلوا إلى ما يصيبون من غنائمهم، بل يجلب لهم ولجندهم عندما يحدث الله لهــم وعلــى أيديهم من ذلك العطاء والألطاف، ويخص بجمال[3] ذلك أهل النجدة والبــأس والنكايــة في العدو منهم، ويسمو بهم إلى أفضل غايتهم، ويعرف ذلك لهم ويذكرون به، ويحفظ لهــم ويحفظون به في أعقابهم من بعدهم بواجب حقهم، ويتنــافس في ذلــك مــن ســواهم، وليستنصروا به، ثم لا يحجب لهم بقبولها، ولو طرق طروقا، فقد بلغني أن بعــض الفقــهاء التابعين رفع الحديث، قال: "لا يزال لهذه الأمة طعمة ما بيتت ثغورها، فإذا بيتت من قبــل ثغورها بينت طعمها، أو انقطعت مدتها"[4]، وهناك يطعن الرجال فيهم .

فالثغور الثغور يا أمير المؤمنين! ثم الثغور الثغور يا أمير المؤمنين! فإن الثغور حصــون – بإذن الله – للعباد، وسكن للبلاد، وقرار لهذه الأمة، ليبلغوا منافعهم وصلاحهم في دينــهم ودنياهم، ولتتم لهم مدة بقاء معالم دينهم آمنين مطمئنين، وفي ذلك يا أمير المؤمنين ! بــلاء

---

1 – هذا حديث نبوي أخرجه أبو عبيد باختلاف عما ذكر، الأموال / ٧٤. رقم: ١٤، وأخرجه ابن جماعة أيضا بما يقارب ما جاء في المتن . تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام / ٦٩ .

2 – لم يذكر هاتين الخصلتين فيما تلا ذلك، وإنما ذكرهما بعد كما أشرنا إلى ذلك في الرقم التالي: صفحة ١٦ بند رقم ١. ،فانظر هناك شبه العنوان الذي وضعناه كدليل على ذلك .

3 – " بجمال " كذا جاءت، ولعلها " بجميع " أو " بجملة ".

4 – لم نعثر على هذا الحديث فيما تحت يدي من مصادر.

من الله في نعمه عليهم، وإحسانه إليهم عظيم، والأجر في ذلك لمن ولاه إقامتهم، والورد فيه على حسب ذلك، فعصم الله أمير المؤمنين من سيئ ذلك، ووفقه لأحسنه.

٢ – الخصلة الثانية: التقيد بمصادر الأحكام، وحسن اختيار القضاة :

أ– مصادر الأحكام: وهذه الأحكام والحكام – ولا يمنعني ما أنا بسبيله – فلمـأ[1] أن أنهي إلى أمير المؤمنين بمبلغ علمي، النصيحة له في ذلك فإني اعلم أن بقائي فيما أنا فيه قليل، إما بفراق في الحياة، وإما بموت، فإن اكبر ما أحض عليه من ذلك يكون لسواي .

فأما الأحكام، فإن الحكم بما في كتاب الله، ثم بما في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن لم يوجد ذلك في كتاب الله، ثم ما أجمع عليه الأئمة الفقهاء إن لم يوجد ذلك في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم اجتهاد الحاكم، فإنه لا يألوا إذا ولاه الإمام ذلك، مع مشاورة أهل العلم .

ب – ما ينبغي أن يكون عليه القاضي :

فأما الحكام، فقد علم أمير المؤمنين – إن شاء الله – أدنى مأموله في الحاكم: الورع والعقل، فإن أحدهما إن أخطأه لم يقمه أهل العلم، واختيار خيار ما يشار به عليه في ذلك، فإن كان له مع ذلك فهم وعلم من الكتاب والسنة كان بالغا، فإن كان مع ذلك ذا حكم وصرامة وفطنة بمذاهب الناس وغوامض أمورهم التي عليها يتظالمون فيما بينهم، وبما يقارعونه عن دينه ودنياه، كان ذلك هو الكامل التام، فإذا وُجِد أحد أولئك أستُعين به، ثم ثَبِّت نعله، وأعلِيَ كعبه، وشُدَّ ظهره وأزره، وأنفِذ حكمه، وأسبغ عليه وعلى أعوانه وكتابه من الأرزاق، فإن الحكم مهيمن على سائر الأعمال، مقدم بين يديها، إمام لهـا، وحُكم عليها، وقوام لها.

٣ – الخصلة الثالثة: الاهتمام بمورد الفيء قبضا وإنفاقا:

---

1 – "فلمأ" هكذا جاءت في النص و لم نتمكن من معرفة صوابها.

أ – أخذه من موضعه بسننه وعدلـــه: ومن ذلك هذا الفيء وأخذه من مواضعه بســننه وعدله على قدر ما يطلق [1] أهله من التخفيف عنهم، وحتى يترك لهم ما يصلحهم وأرضهم، ومن تحت أيديهم من أعوانهم وعيالاتهم، وحتى ينفق على فقيرهم، وكذلك بلغني من السـيرة فيهم، كان يفعل ويذكر ذلك فيهم، في عامهم لقابلهم، فإن ذلك أعمر للبلاد وأدر للحلب، وأكثر للخراج، وأعدل في الرعية، فإن قليل ما يوجد منهم في التخفيف عليهم مع عمــــارة بلادهم، وأنصبتهم أكبر أضعافا كبير ما يوجد منهم في إهلاك أنفسهم وإخراب بلادهم .

– **الإيفاء للمزارعين بشروطهم**: وأن يوفى لموادعهم بشروطهم فإني أرى ما قبلي هــهنا عجبي من أمرين في شيء واحد:

* أما أحدهما: فإني آتي في بعض ما قبلنا الأرض التي هي منها وإلى جنبها، وأربية مــــن أرابيها[2]، يوفى لأهلها بالشروط وفي المزارعة [3]، ويقلرب لهم الوفاء، فيخرج من الخراج أكبر مما تخرج تلك الكور[4] كلها.

* وفي الأمر الآخر الذي كتب فيه أمير المؤمنين أبو جعفر إلى سوار بن عبد الله [5] –وهو يومئذ على قضاء البصرة–: "أني قد أمرت بالوفاء للمزارعين المتقدمين بشروطهم، فــــاعلم

---

1 – "ما يطلق" كذا وردت، وصوابها في نظرنا "يطيق" .
2 – وأربيية من أرابيها " هي أصل الفخد، أو ما بين أعلاه وأسفل البطن . والمعنى: أنها لصيقة بها . لســان العرب: مادة /أرب .
3 – " وفي المزارعة " كذا وردت، ولعل الصواب " في الزارعة " بحذف واو العطف، لأن المزارعة طريقـة معروفة في استغلال الأرض بالثلث والربع والنصف مما تغله . لسان العرب: مادة / زرع .
4 – " الكور" مفردها "كورة" وهي كلمة فارسية تعني المدينة التي تشمل على عدة قرى . لسان العــرب: مادة / كور. يا قوت / معجم البلدان / ١ /٣٦-٣٧ .
5 – سوار بن عبد الله بن قدامة، ولاه أبو جعفر المنصور قضاء البصرة مرات . توفي سنة ١٥٦هـ فــولي بعده عبيد الله بن الحسن صاحب هذه الرسالة.
– ابن سعد: الطبقات: م ٧ / ق ٢ / ٢٤.
– وكيع: أخبار القضاة: ٢ / ٥٧ وما بعدها.

ذلك، وأعلمه الناس قبلك"[1]، ثم أرى الرجل من أولئك المزارعين يشكو أنه يؤخـــــذ منـــه أضعاف ما قوطع عليه يا أمير المؤمنين أبي جعفر.

صرف المستخلص من الفيء على سننه وعدله ومواضعه: ثم يوضع هذا الفـــيء بعـــد استخراجه على سننه وعدله ومواضعه، فإن أمير المؤمنين قد علم – إن شاء الله – أن أهلـــه ومواضعه أهل الآيات الأربع التي في سورة الحشر، وآية الخمس التي في سورة الأنفال، وهـــي الآيات الأربع التي أولاهن: "ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى" إلى قولـــــه: "**شـــديد العقاب**"[2]، وقد عرف أمير المؤمنين - إن شاء الله – أن أهل هذه الآية ومواضعها، ثم قـــال: " **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانـــا وينصرون الله ورسوله**"[3] ليس فيهم الأنصار، ثم قال: "**والذين تبوؤا الدار والإيمـــان مـــن قبلهم يحبون من هاجر إليهم**[4] " الآية، وقد عرف – إن شاء الله – أن أهل هذه الآية هـــم الأنصار ليس فيها من المهاجرين أحد، قال: "**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفـــر لنا ولإخواننا**"[5] الآية، وعرف – إن شاء الله – أن أهل هذه الجماعة من بقي من الإســـلام، ومن هو داخل فيه حتى تنقضي الدنيا.

وبلغني أن عمر بن الخطاب فسَّر[6] هؤلاء الآيات الثلاث موضعا لهذا الفيء، وكذلك

---

1 - لم أجد فيما تحت يدي من مصادر أثرا لهذه الرسالة.
2 - سورة الحشر / الآيات: ٧ – ١٠، وآية سورة الأنفال: " واعلموا أن ما غنمتم من شيء ...الآيـــة " رقم: ٤١
3- الآيات نفسها.
4 -الآيات نفسها.
5 -الآيات نفسها.
6 - تفسير عمر لهؤلاء الآيات ثابت عنه، انظر تفصيل ذلك في :
- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم / ٦ / ٦٠٩-٦١٠.
- ابو عبيد: الأموال / ١٣٧ – ١٣٨، رقم: ١٥٣.
- ابو يوسف: الخراج / ٢٤ -٢٧ .

بلغني عن عمر بن عبد العزيز[1]، ولا لأظن بلغني ذلك إلا عن عمر بن الخطاب فتبعه. فـــهذا الفيء كذلك بينهم وفيهم على ما يرى إمام العامة في قسمته بينهم من تفضيل بعضهم علـى بعض على مناقبهم وسابقتهم، وولاية من ولى الله فتح أول ذلك على يديه منهم، وحفـــظ أعقابهم من بعدهم، وكذلك بلغني أنه كان يفعل[2]، والتسوية بين من استوت منازلهم ممـــن سواهم من الناس من ذلك. وقد بلغني ولا أخال أمير المؤمنين – أمتع الله به – إلا قد علـــم ذلك وبلغه، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أخذ من ذروة سنامي بعـــير بـــين أصبعـــه شعرات، ثم قال:[3] "ما لأمير ولا مأمور مما أفاء الله عليهم مثل هذا إلا الخمـــس والخمـــس مردود عليكم"، وقال: "ولو كان ما أفاء الله عليكم مثل سمر تهامة نعما ما وجدتموني فيـــه بخيلا ولا أدابا"[4].

٣ – الخصلة الرابعة: أخذ الصدقات وتوزيعها:

أ – أخذ الصدقات دون اعتداء: وهذه الصدقات أخذها من واضعها[5] لا يجاوز بســـر فريضة إلى ما فوقها، ولا يقتصر بها إلى ما دونها، ولا يغلى عليها قيمتها، ولا أخـــال أمـــير المؤمنين إلا قد بلغه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "المعتدي بالصدقة كمانعـــها"[6]

1 – شك عبيد الله كاتب الرسالة في تفسير عمر بن عبد العزيز لذلك، وترجيحه بأن عمر بن الخطاب هو الذي فسرها صحيح وهو الثابت، والثابت أيضا كما ذكر عبيد الله أن عمر بن عبد العزيز تبعه في تفسيرها . انظر: ابن عبد الحكم / سيرة عمر بن عبد العزيز / ٦٧ –٦٨، ٨٥ .
2 – أمر التفضيل في العطاء من الخليفة عمر – رضي الله عنه – ثابت عنه، انظر :
- ابو عبيد: الأموال / ٣١٢ وما بعدها من رقم ٥٤٩ إلى رقم ٥٧١.
- ابو يوسف: الخراج / ٤٢ وما بعدها .
- البلاذري: فتوح البلدان / ٤٣١ وما بعدها .
3 – حصل ذلك عندما قسم – صلى الله عليه وسلم – غنائم هوزان سنة ٨ هـــ مع اختلاف في الألفـــاظ . انظر: ابن هشام: السيرة النبوية / ٢ / ٤٩٢ . وسنن أبي داود / ١ /٤٢١ –٤٢٢ . (كتاب الجهاد . بـــاب: في فداء الأسير بالمال) .؛ ابن كثير / البداية والنهاية / ٤ /٣٥٣ .
4 – "أدابا" لا حظ المحقق عليها في الهامش "كذا جاءت" – وعند ابن هشام وابن كثير "بخيلا، ولا جبانا- ولا كذابا" والأولى بالصواب "ولا كذابا " كما في الحديث.
5 – "واضعها" كذا جاءت، فإن لم تكن خطأ مطبعي فصوابها "مواضعها" .
6 – الحديث أخرجه الترمذي في سننه / ٤ / ٣٨ / رقم: ٦٤٦، وكذا أبو داود: ٢٥١/١ (كتاب الزكـــاة، باب: زكاة السائمة) .

وأن يوجد من الحروب[1] والثمار وسائر الأموال التي جرت فيها الصدقات على سنتها الـــتي قد علمها المسلمون وعملوا بها .

ب – ما يؤخذ من التجار: وأن يؤخذ من تجار أهل الذمة ضعف ما يؤخذ من تجـــار المسلمين، فكذلك بلغني أن عمر بن الخطاب أمر به في أموال تجار أهل الذمة، وأنه أمـــر أن يؤخذ من تجار الحرب إذا قدموا على المسلمين كنحو ما يأخذ أهل الحرب من تجار المسلمين إذا قدموا عليهم[2].

ج – توزيع الصدقات: ووضع هذه الصدقات في مواضعها من أهل الصدقة الذين أمـــر الله بهم في كتابه لا يجاوز بها إلى غيرهم، ولا يقتصر بها دونهم يوم[3] تدلك الآية التي في براءة، وهي: "**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**" إلى "**والله عليم حكيم**"[4] تقسم بين هذه الآيـــة على ما يرى الإمام من قسمتها بينهم على قدر قلة كل صنف منها وكثرتـــه، ولا يعـــدل صدقة عن أهل بلدها إلا أن يستغنوا عنها، أو يستغنوا بما يقسم فيهم منها في عامهم ذلـــك إلى حين يقسم الصدقة فيهم من قابلهم، فإذا كان كذلك عدلت عنهم عامهم ذلك إلى أدنى من يليهم من الفقراء على نحو من ذلك القسم.

هذه الخصال الأربع هي جمل الأعمال من أمير المؤمنين في رعيته: فهذه الخصال الأربـع التي يعلم أمير المؤمنين، أنها جمل الأعمال في رعيته، ويعلم أن ليس لأحد في كتـاب الله، ولا في شيء من سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من أمر رأي إلا الانقياد له، والمجاهدة عليه، وما سوى ذلك من الأمور التي تبتلى بها الأئمة، مما يؤتى فيه الناس، ممـــا لم يحكـــم

---

1 – "الحروب" كذا جاءت فإن لم تكن خطأ مطبعيا فإن صوابها " الحبوب " لتعلق معناها بما بعدها .

2 – ما أشار إليه الكاتب صحيح، وهو بالفعل ما أمر به الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– ولاتــه على قبض العشور، كأنس بن مالك، وزياد بن حدير، وأبو موسى الأشعري . انظر في هذا: أبو يوســف: الخراج / ١٣٤ – ١٣٥، يحي بن آدم: الخراج / ٦٨، ١٧٢، ١٧٣ . – أبو عبيد: الأموال/٦٣٨ ومـــا بعدهـــا، رقم: ١٦٥٧ وما بعده.

3 – "يوم" كذا جاءت ولعل صوابها "كما تدلك" .

4 – سورة التوبة: الآية / ٦٠ .

القرآن ولا سنة النبي – عليه السلام – فإن ولي أمر المسلمين وإمام جماعتهم، لا يقدم فيها بين يديه، ولا يقضى فيه دونه، بل على من دونه رفع ذلك إليه، والتسليم لما قضى.

خصلتان بهما صلاح الحال: مشاورة أهل الذكر، وتقصي أعمال العمال: وأما [1]الخصلتان اللتان تصلحان بهم- بإذن الله – إن شاء الله –:

فالمسألة لأهل الذكر، والأمانة عن قاضي[2]عمال أمير المؤمنين ودانيهم، ثم اللحاق بكل ما هو أهله من جزاء المحسن بإحسانه، وتأديب المسيء منهم بإساءته أو عزله، والاستبدال به على قدر ما يستحقون من التأديب والعزل.

– **ألا يستكثر أمير المؤمنين من الحسن شيئا عمل وإن كثر**: ومما يصلح ذلك –أصلح الله أمير المؤمنين– ويقود به الوالي على أمره، ألا يستكثر من الحسن شيئا عمل وإن كثر، فإنه ليس من حسن عمل به امرؤ، وإلا ونعمة الله عليه في ذلك خاصة أكثر، وحق الله عليه فيه وفيما سواه أعظم وأوجب، وليس العباد – وإن حزموا[3]وجدوا – مانعي كنه حق الله عليه، إلا ما أعان الله ورحم، وأن لا يستقل من الحسن شيئا فيدعه قليله وكثيره، وإن الحسنة إلى الحسنة حسنات، و"**إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين**"[4].

يا أمير المؤمنين: ليس شيء من السيئ بقليل: ولا يحقر مع ذلك من مسيء شيئا وإن تقال في عينه، فإنه ليس شيء من السيئ بقليل، وليس شيء منه إلا وهو مخوف سر غاقبته – إلا ما أعان الله وتجاوز– .

1 – انظر رقم التخريج: صفحة ١٢ بند ٠١، فيما تقدم حيث أشار إلى هاتين الخصلتين هناك، ولم يذكرهما في ذلك الموضع، ثم أوردهما هنا .

2 – " قاضي" كذا جاءت فإن لم تكن خطا مطبعيي فصوابها " قاصي" أي البعيد وهذا لتعلق معناها بما بعدها "دانيهم" أي قريبهم .

3 – "حزموا" ومفرده "حزم "، والحزم: ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثقة والحذر من فواته . لسان العرب: مادة / حزم .

4 – سورة هود: الآية / ١١٤ .

يا أمير المؤمنين: لا يؤخر عمل اليوم لغد: ثم لا يؤخر عمل اليوم لغد، فإنه إذا كان ذلك تداركت الأعمال وشغل بعضها عن بعض .

-بادر يا أمير المؤمنين بالعمل في نفسك بالعمل قبل حصول الآيات الست: ثم المبادرة بالعمل في العامة، وفي خاصة النفس الخصال الست، التي إخال أمير المؤمنين إلا وقد علمهن وبلغه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر بمبادرتهن بالعمل: "طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، وخويصة أحدكم، وأمر العامة"[1]، فإنه لا يؤمن من أحدها أن تصبح وتمسي، وذلك ما لا أخاله، إلا وقد بلغ أمير المؤمنين من قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: **"بعثت والساعة كهاتين، وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي تليها"**[2]، وقوله: **"إن ما بقي من الدنيا فيما مضى منها كعابر يومكم هذا فيما مضى فيه"**[3]، والشمس حينئذ على رؤوس الجبال من آخر يومه ذلك. وقوله: " وكيف أنعم وصاحب القرن قد التقمه، وقد حبا[4] جبينه، وأصغى بسمعه، وقدم قدما، وأخر قدما، ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فينفخ[5]. وقوله: "إنما مثلي ومثل الساعة كقوم بعثوا ربيئة لهم يربأ[6] العدو، فأبصرو[7] العدو فخاف أن

---

1 - الحديث أخرجه مسلم / ٨ /٢٠٨. (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية أحاديث الدجلل)، و أخرجه ابن ماجة / ٢/ ١٣٤٨ رقم: ٤٠٥٦. .
إلا أن الخصال الست التي أشار إليها في الحديث تنقصها واحدة وهي "والدخان" التي تأتي بعد ذكر الدجال وبها تكتمل هذه الآيات .
2 - الحديث أخرجه مسلم /٨ / ٢٠٩ . (كتاب الفتن ...باب: قرب الساعة) . وأخرجه البخاري/٨ / ١٣١ (كتاب الرقاق . باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: بعثت أنا والساعة كهاتي)
3 - الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل / ٩٤ / رقم: ١٢١، ١٢٢ . وأخرجه ابن كثير في تفسيره / ٦ / ٤٦٧ في أول تفسيره لسورة القمر .
4 - "حبا" كذا جاءت ولعلها " حنى " بالنون المكسورة كما في الحديث الذي ورد في المصادر التالية .
5 - الحديث أخرجه الترمذي/ه / ٣٤٧، رقم: ٢٣٤٣ . وابن كثير في تفسيره / ٧ / ٥٥. في تفسيره لسورة المدثر .
6 - ربيئة ..يربأ: ربأ القوم يربؤهم ربأ و ربأ لهم: اطلع لهم على شرف، والربيئة: الطليعة الذي يرسله قوم ليستطلع لهم العدو . لسان العرب: مادة / ربأ.
7 - فأبصرو: كذا جاءت وصوابها فيما نراه " فأبصر " أي الربيئة - الطليعة - حتى يتفق المعنى مع سياق الفقرة، وما بعدها يؤكد صدق ما أشرنا إليه .

يسبقه إلى أصحابه والذي ينوبه، ونادى يا صباحاه"[1] فكيف وقد أتى دون هذا القول ما أتى من القرون والسنين .

-الرأي أن يكون بحضرة أمير المؤمنين قوم منتخبون من أهل الأمصار تعرض عليهم أمور الناس: فإن رأى أمير المؤمنين، أن يكون بحضرته قوم منتخبون من أهل الأمصار أهل صدق وعلم بالسنة، أولو حنكة وعقول وورع لما يرد عليه من أمور الناس وأحكامهم وما يرفع إليه من مظالمهم، فليفعل، فإن أمير المؤمنين – وإن كان الله قد أنعم عليه وأفضل بما أفاد من العلم بكتابه وسنته – رد عليه أمور هذه الأمة، أهل شرقها وغربها، ودانيها وقاصيها، فيشغله بعضها عن بعض، ففي ذلك عون صدق على ما هو فيه – إن شاء الله – وقد قال الله – عز وجل – لنبيه - صلى الله عليه وسلم – والوحي يترل عليه، وهو خير وأبقى، وأبر واعلم، ممن سواه من الناس: **"وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين"**[2]. وقال للقوم وهو يصف حسن أعمالهم: **"وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون"**[3]. وذلك إلى ما قد سر الناس مما بلغهم، من بروز أمير المؤمنين لهم بحاجاتهم، ورجوا أن يتم الله ذلك لأمير المؤمنين بمباشرته أمورهم، وصبره نفسه على ذلك لهم، وأن يزيده الله قوة ورغبة فيه، ومواظبة عليه، فإن ذلك من أعلام العدل وآياته، ومما يقوم به الوالي على أمر الرعية، ويخلص به إلى التي يريد المبالغة فيها، والمباشرة لها .

– لا تغلق يا أمير المؤمنين بابك دون ذوي الحاجات: تمم الله ذلك لأمير المؤمنين، ويسره له ! – وأرجو أن يكون طائره إلى ذلك علمه بعدله ودينه، وقوته، ونظره لنفسه،

---

1 - الحديث أخرجه الطبري في تفسيره، جامع البيان / ١٩ /١٢٠، وأخرجه ابن كثير في تفسيره أيضا/ ٥ / ٥٦١ – ٥٦٢ . باختلاف عما جاء في المتن .
2 - سورة آل عمران: الآية / ١٥٩ .
3 - سورة الشورى: الآية / ٣٥ .

واختياره لها خيار الأمور وأحسنها، وأنى[1] قد عرف ما قيل في إغـــلاق البـــاب دون ذوي الحاجة والخـــلة والمسكنة .

-أسال الله لأمير المؤمنين رحمته: أسأل الله لأمير المؤمنين رحمته وسعة فضله، وأن يجعـــل ولايته ولاية معدلة، ويرزقه معافاة، وان يلهمه العطف على الرعية والرأفة بهم، والرحمة لهـــم، وان يرزقه منهم السمع والطاعة، وأن يجمع كلمتهم، ويلم شعثهم.

وكتب الحكم[2] في صفر سنة تسع وخمسين ومائـــة[3].

1 - "وأنى" كذا جاءت، ولعلها "أنه" أو "أن" .

2 - الحكم: كان كاتبا لسوار بن عبد الله القاضي السابق، وكتب لعبيد الله بن الحسن أخباره نـــــــادرة . وكيع / أخبار القضاة / ٢ / ١١٥ — ١١٦.

3 - وكيع / أخبار القضاة / ٢ / ٩٧ — ١٠٧.